2 – «عروة يقرأ وِرد الياسمين» هي حديقة وَرد ساحرة

الدكتور:عماد حمزة

أكاديميّ وروائيّ وناقد من لبنان

العميد الدكتور محمد توفيق ابو علي، نشر حديقة وَرده الساحرة «عروة يقرأ وِرد الياسمين» وهي من منشورات دار ناريمان الالكترونية. وقد قضيتُ النّهار وشطرًا من الليل أنتقل في جنبات هذه الحديقة، فعجزتُ عن الانتقاء، فكلّ ما في هذه الحديقة من «شعر» «خواطر» و «حكايات» أصص من الجمال الفريد، الساحر والمغرِي، ويعجزك عن الاختيار؛ وكلّ صفحة تلَّةٌ من سحر وخلَّة من جمال ومنحنًى من الإبداع الباذخ الفاتن.

وكم لامس روحي ذكره ل»عروتَيْ» روحه أبيه و أمّه، ذكر ينضح بالبرِّ الذي لا مثيل له.

ولا أعرف لماذا حملتني حديقة محمد توفيق أبو علي «عروة يقرأ وِرد الياسمين» إلى «سعدي» صاحب «كلستان» اي حديقة الورد.

وإنّني أستطيع أن أقول براحة ضمير إنّ حديقة محمد توفيق أبو علي لا تقلُّ شأنًا ولا قيمة ولا فنّيّة ولا توزيعًا هندسيًّا عن «كلستان» سعدي شاعر الفارسيّة العظيم... فمن شعرٍ لخاطرةٍ إلى حكاية تمتدّ حديقة محمد توفيق أبو علي على امتداد القلب والرّوح نافذة من الحواسّ كلّها، الظاهرة و الباطنة، المعروفة و الخفيّة إلى ثنايا النّفس والهوى الصّوفيّ الطّاهر النّظيف.

العشق في «عروة يقرأ وِرد الياسمين» لا يخطئه قلب، ولا تضلّ عن سبيله نفس توّاقة إلى الانعتاق من الماديّ للاتّحاد بالعُلويّ السّماويّ.

لقد أخبرنا ابن سينا أنّ النّفسَ «هبطت إليك من المحلّ الأرفعِ».

أما أبو علي، فلقد أطلقها في سماء الجمال «ورقاء ذات تعزُّزٍ وتمنعِ» فأطلقها من سجنها إلى الفضاء الأرحب، إلى الخلق والإبداع الفريد.

محمد توفيق أبو علي ليس شاعرًا عاديًّا، ولا أديبًا عابرًا، إنّه مبدع خلّاق يغزل الحروفَ نقاء، وينسجها كلماتٍ على نَوْل من الطهر؛ لتكون كلّ قصيدة قطيفة من سناء لا ينقضي نوره.

ليس في «عروة يقرأ وِرد الياسمين» إلّا الحبّ، ولا يوجد فيه مثقال ذرّة من كراهية، حتّى إذا أراد شيئًا غير ذلك كنّى بالإشارة إلى العتم والظّلام وسوء منقلبهما.

النّور، العطر، الحبّ،

الوفاء، الصّدق، الطّهر، النّقاء والياسمين... أسيجة لحديقته، ويا لجمالها من أسيجة.

عرفتُ محمد توفيق ابو علي لأربعة عقود ونيّف، ومنذ اليوم الأوّل حتّى هذه الساعة ما زادني الزّمان فيه إلّا حبًّا وأخوَّة وصداقة في قلبي وروحي وعينَي. فلطالما نشر الحبّ والوداعة والصّفاء و الجمال، بكلماته وسلوكه ودخيلته في المحيط الذي ضمَّنا مع طيّبين وطيبات، ضاع بعضهم في دروب الحياة ولم تضع ذكراهم.

لا أستطيع أن اقرأ محمد توفيق أبو علي إلّا بحبّ، فهذا رجل مسالم النفس، طيّب القلب، نقيّ الرّوح، نشر جماله في قلوب الفريق الذي كنّاه، وعرَّشت بلاغُته في سليقة نادرة، في دنيا الإبداع، حتى أكاد أجزم، أنّه من قلّة قليلة في لبنان تكتب عبارة فصيحة ببلاغة بسيطة، سهولتها ممتنعة، ونصوصه شواهد صادقة مبسوطة للقاصي والدّاني.

أحبُّ أن أبارك لكَ، يا عميد، هذا الفيض من السّحر والعطر والجمال،

ولكنني كسواي، رأينا فيه بركة من فيضك الزّاخر الذي عشقناه.

وتعلّمنا منه معاني العشق الأنيق.

كلّ الحبّ.